حوليات آداب عين شمس المجلد 50 (عدد أكتوبر – ديسمبر 2022)
http://www.aafu.journals.ekb.eg
(دورية علمية محكمة)
جامعة عين شمس
كلية الآداب

نصوص القرآن الكريم في ضوء تطبيق اللسانيات النصية دراسة نقدية نحوية

د. محمد عبد الله عباس علي*

تخصص لغة عربية– لغة/ جامعة بغداد/ كلية التربية البدنية وعلوم الرياضة
m7md_my@yahoo.com

تاريخ الاستلام: 2019/5/8
تاريخ قبول البحث: 2019/6/1
تاريخ النشر: 2022/12/29

المستخلص:

بدأ المنهج اللساني الحديث عند العرب منهجا يفتقر إلى الاستقرار أول أمره؛ وذلك لأسباب منها: مصطلحات اللسانيات غير ثابتة، إذ لكل لغوي تعريف يتفق من جهة ويختلف من أخرى مع غيره، وحداثة العهد بالدرس، إذ«واجه اللغويون العرب مشكلة المصطلحات اللسانية منذ تصدوا لهذا العلم الحديث بالتلقي والتمثيل ومحاولة الانشاء والوضع»[1]، ولاسيما أنّ أهل المشرق قد بدأوا متأخرين فيه على أنّ المغاربة قطعوا فيه أشواطا بحكم قربهم من البلدان الأوربية، صاحبة المنهج اللساني، وسهولة اتصالهم بهم، فأخذوا عنهم اللسانيات النظرية، لتأتي بعد ذلك مرحلة تطبيق هذا الدرس، ثمكان لأهل المشرق من العرب دورهم الفاعل في تلك الدراسة على الرغم من تأخرهم فيها، فإننا نشهد اليوم انحسارا في دراسة المنهج التقليدي على أن هذا التقدم الحاصل في الدرس اللساني الحديث بدأ مرحلة جديدة من مراحله وهي التطبيق، فنصوص القرآن الكريم لم تكن بمنأى عما وصل اليه الدرس اللغوي الحديث فكانت هي أيضاً مضمارا للبحث والتطبيق.

وبحثنا هذا يمثل نظرة نقدية في كيفية تطبيق الدرس اللساني بمعاييره، وطريقة توظيف عناصر اللسانيات النصيةفي تحليل بعض نصوص القرآن الكريم، والإجابة عن سؤال: هل آتتهذه البحوث أكلها على نحو مختلف عما أسسه الأقدمون؟ وما مدى صلاحية المنهج اللساني عند بعض الباحثين في تحليل النص القرآني؟ وقد اكتفيت بذكر عدد من الأمثلة في الاستدلال لكثرتها.

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لحولية كلية الآداب – جامعة عين شمس 2022.

مدخل:

القرآن الكريم:

«كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، وهو نوره المبين الذي أشرقت لـــه الظّلمات، ورحمته المهداة التي به اصلاح جميع المخلوقات»[2]، وقد تناول علماؤنا الأجلاء نصوص القران الكريم بالبحث والتحليل في إطار الإعجاز القرآني من حيث اللغة، والذي يندرج تحت مفهوم الإعجاز اللغوي سواء كانبلاغيا أم نحويا أم صرفيا،[3] وهذه التنوعات إنما هي من قبيل البحث الدقيق الذي تتطلبه الدراسة البحثية التخصصية، وأمّا الدراسة العامـــة لوجوه الإعجاز؛ فتضم ما ذكرنا جميعًا، كما في المصنفات القديمة من مثل: (إعجاز القرآن) للقاضي أبي بكر محمد بـــن الطيب الباقلاني (ت403هـــ) وهو من أقدمها، و(دلائل الإعجاز) لعبد القاهرالجرجاني (ت471هـــ) وهو من أهم مؤلفات الإعجاز القرآني الذي يتداوله الباحثون، ويعد مصدرا مهما في مجال البحث والمقارنة بين المتقدمين والمتـــأخرين لبيـــان فضل أحدهما على الآخر، وهناك أيضا كتاب (معترك الأقران في إعجازالقرآن)، لجلال الدين السيوطي (ت911هـــــ)، وغيرها، وأما ما جاء به المحدثون فلا حصر لها مثل: إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز لبديع الزمان سعيد النورسي، والإعجاز البياني للقرآن، ومسائلابن الأزرق لعائشة محمد علي المعروفة ببنت الشاطئ، والقسم في القران الكريم للدكتور حسين نصّار، وإعجاز القرآن والبلاغة النبوية لمصطفى صادق الرافعي، وإعجاز القرآن الكريم للدكتور فضـــل حســـن عباس، والتعبير القرآني للدكتور فاضل صالح السامرائي، وغيرهم كثير.

اللسانيات:

عُرفت اللسانيات عند المعاصرين العرب أول أمرها علـــى أنهـــا علماللغـــة، وفقهاللغـــة، واللغويات،وعلماللســـان، والألسنية،ثم شاعت بين وسط أهل اللغة بعلماللسانيات، وتتنوع اللسانيات تبعا لمقتضيات الدرس وتقســـم علـــى قســـمين أساسَين هما: اللسانيات النظرية، واللسانيات التطبيقية، وقد قُسِّمت كل واحدة من هذه اللسانيات على فـــروع، فاللســـانيات النظرية تضم ظواهر اللغة جميعها من نحو، وصرف، ودلالة، وغيرها. وأمّا اللسانيات التطبيقية فتعنى بدراسة اللغة من حيث التعليم والمقارنة والأمراض النطقية التي تصيب الفرد فضلا عن الترجمة[4].

وتعرف اللسانيات:

بأنّها «العلم الذي يدرس اللغة الإنسانية دراسة علمية تقوم على الوصف ومعاينة الوقائع بعيدا عن النزعـــة التعليميـــة والأحكام المعيارية»[5]، وينبغي القول: إنّ اللسانيات اعتمدت دراسة اللغة لذاتها بوصفها ظاهرة اجتماعية[6]، والتخلي عن المنهج التقليدي أو المعياري الذي يضع قيودا على اللسان لا يجوز له أن يحيد عنها، وهدف هذه الضوابط حفظ اللغة مما قد يعتريها من عوامل تؤدي إلى تغير ثوابتها[7].

وتبنى المحدثون اللسانيات؛ لأنّها لا تقيّد المتكلم بعوامل القياس والتعليل المنطقي، ولها جوانب كثيرة؛ لأنّ المنظـــرين ربطوا الدرس اللغوي بالمنهج العلمي البحثي والتجريبي فضلا عن عقد الصلة بشتى علوم المعرفة؛ ما فتح للباحث آفاقـــا يطلب أيّها شاء من البحث اللغوي.

إن توظيف اللسانيات النصية في دراسة نصوصالقرآن الكريم في إطار العناصر اللسانية الحديثة وطرائق بحثها فـــي اللغة يجعل المتأمل يرى فيه تناقضاً، وذلك؛ لأنّ اللسانيات تدعو إلى دراسة اللغة دراسة وصفية فهي تصف النص علـــى

ما فيه باستعمال عناصر التحليل من دون الحكم على أي من أساليبه، ثُمَّ إثّإعجاز تلك النصوصيُعدُّ غاية التحدي، والتحدي يتطلب وجود متبارين؛ وإلاّ فالنص لا يكون معجزا بذاته من غير وجود المتحدي.

لذا فإنّ اللسانيات النصية إن لم تجعل معيارا تحدد منه لغة للنص لا يمكن أن تضع حكماً للنصّ، ومن ثَمَّ ينبغي لنا العودة إلى الأحكام المعيارية بأدوات التحليل اللسانية أو غيرها لمعرفة ميزات كل نص ومهارة بنائه.

بعد تجربة البحث اللساني من حيث تاريخ نشأته وتفسير مصطلحاته ومفاهيمه واستهلاك مضامينه فكر الباحثون في خوض تطبيق تلك التجربة على النصوص العربية، ومدى صلاحية الدرس اللساني الحديث في معالجة قضايا النصوص العربية من قرآن وحديث وشعر، وهنا أيضا يحق لنا أن نسأل:أ تطبيق النظريات اللسانية سيكون بأدوات مختلفة عما جاء به الاقدمون أم أن العناصر اللسانية الحديثة لا تحتاج إلى الاطر التي حددها الاقدمون؟ وينبغي الاجابة عن هذا السؤال من تلك التطبيقات التي عمل عليها الباحثون.

قدّم بعض الباحثين في ميدان اللسانيات دراسات في تحليل النص القرآني تتمثل في استعمال معايير تعارف عليها اللسانيون في تحليل النص، ومن أهم معايير تحليل النص بحسب ما اقترحه روبرت دي بوجراند: التماسك: وتتناوب مصطلحات أخرى تتحد في مفهومها مع التماسك، منها: السبك، والاتساق والانسجام والنظم والضّم، فهي تشير بمدلولها إلى وحدة النصّ المتمثلة بالأدوات البنائية له، وبهايخضع النص للتحليل والوصف، فيتعرف على التراكيب النحوية للجمل، والتكرار، والإحالة، والحذف، والربط وغيرها، وأبرز من أشار إلى هذه العناصر هاليدي ورقية حسن في كتابهما (Cohesion in English– الاتساق في اللغة الانكليزية) ويتكون الكتاب من سبعة فصول مثّل الأوّل مدخلا لبنية النص، والستة الأخرى لأدوات التحليل كالإحالة، والربط، والتكرار، والحذف، والاستبدال وفي الفصل الأخير نصوص خضعت لتجربة التحليل(8).

وتدلُّ تجربة تطبيق اللسانيات في تحليل نصوص القرآن الكريم على مرحلة نضج واستقراء وافية بالمعرفة اللسانية، وبسبب سعة الدرس اللساني وتعدد وجوه التحليل؛ لكثرة المفاهيم؛ تنوعت آراؤهم ، فنلحظ أنّ أحدهم اختار عنوانا تطبيقيًا يقرب من مصطلح علم البلاغة وهو (الإبلاغية) تضمنها عنوان بحثهالموسوم (إبلاغية النص القرآني من منظور لسانيات النص)، يرى الباحث أن الإبلاغية مختلف في أمرها، واختار هو ما ذكره كلاوس برينكر من أنّ الإبلاغية هي العلاقة بين ثلاث قيم هي: المرسل، والرسالة، والمستقبل أو المتلقي، وهذا الذي أشار إليه هو تمثيل لنظرية الاتصال، قال الباحث في ذلك معقبا على تعريف كلاوس: «وهذا التعريف يفسر الإبلاغية أنّها علاقة بين ثلاثة عناصر هي: الباث أو المرسل وهو منشئ النص ومبلغه إلى الآخر، والمستقبل أو المتلقي وهو الذي يتلقى النص الذي أنشأ من أجل تبليغه إليه، والنص وهو مضمون رسالة الإبلاغ»(9).

وإذا انتقلنا إلى الجانب التطبيقي لمفهوم الإبلاغية الحديث، فإنّ الباحث جعل سورة البقرة ميدانًا لبحثه، واستخلص معنى مفهوم الإبلاغية بما جاء من نصوص، كقوله تعالى: {وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاّ عَلَى الْخَاشِعِينَ* الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ} [البقرة: 45، 46]، فالباحث ذكر القيم المعنوية للنص بناء على ما عرضَهُ من اختلاف المفسرين فيالمخاطبين؛ ويتضح من هذا أنّ الإبلاغية هي تفسير، وبيّن أنّالإبلاغية هي: إبلاغ

المؤمنين أنّهم ضعفاء وهم بحاجة إلى معونة الله لهم، وأنّها إبلاغ من الله تعالى لعباده في أهمية الصبر، وكذلك إبلاغهم تكاليف الأمانة التي حملها الإنسان كبيرة[10]، والذي أراه أنّ الباحث استنتج من النصّ معاني ليست ظاهرة فيه، وأراد أن يظهر أنّ الإبلاغية شيء مختلف عن تفسير المفسرين وهو ما أنتجته القِيَم الإبلاغية.

وأرى أنّ الإبلاغية إذا ما طبقت ينبغي أن يكون في بيان حدها أولاً، بيان ماهيتها ثانيا، وأمّا ما ذكر من القيم الإبلاغية التي ابتدعها من النص، فما هي إلاّ رسالة النص وغايته.

وطبّق الباحث الإبلاغية على آية أخرى وهي قوله تعالى: { وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} [البقرة: 195] ، وبيّن أنّ إبلاغية النص عبارة عن تفسير للنص، واستنباط مجموعة من النصائح بوصفها قيمًا إبلاغية[11].

واستعمل الباحث أداة من أدوات التحليل النصي وهي الإحالة التي طبقها على بعض آيات سورة البقرة، منها قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ*خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} [البقرة:6،7]

وبين الإحالات فيها على نحو مخططه الآتي:

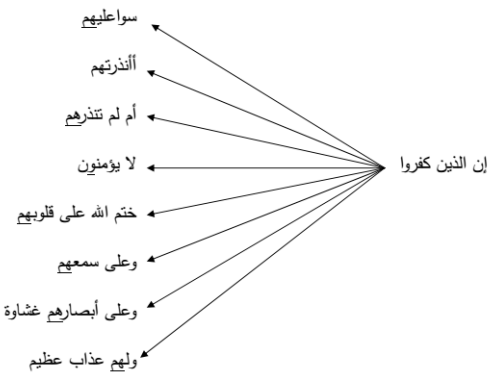

وأما قيمتها الإبلاغية، فهي إبلاغ من الله لعباده أن هناك صنفًا من الناس من أهل العناد والمكابرة الذين لا تنفع معهم الحجج والأدلة. ولا أرى وجهاللعلاقة التيتجمع بين الإحالة التي ذكرها والإبلاغية.

وننتقل إلى باحث آخر في اللسانيات النصيّة وعنوان بحثه: (الإحالة وأثرها في القرآن الكريم) يعرض فيه لعدد من نصوص القرآن الكريم مبينا أهميتها في تحليل النص القرآني، كقوله تعالى: { إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا} [الأحزاب: 35] ذكر الباحث أنّ الضمير في (لهم) أغنى عن ذكر ثلاث وعشرين كلمة لو أتى بها مظهرة، وكذلك ربط بين أجزاء الكلام[12]، وأرى أنّ الاشراك في الجزاء من بديهيات معنى النص، قال ابن مقاتل في تفسير الآية: «فأشرك الله النساء مع الرجال فِي الثواب، كَمَا شاركن الرجال فِي الأعمال الصالحة في الدنيا»[13]، وقال المفسرون في بيان ذكر الضمير، وقد اشرك فيه المذكر والمؤنث أنّه «من باب التغليب؛ لأنّه إذا اجتمع الذكور والإناث، غلّب الذكور، ثم أدرجهم في الضمير»[14]، وتابع الباحث ما ذكره الدكتور تمام حسان في عدِّ الاسم الموصول نوعًا من أنواع الإحالة،

وضرب لذلك مثلا قوله تعالى: {الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ} [الأعراف: 157] إذ يرى أنّ الموصول (الذي) قوّى المعنى بالإحالة إلى (النبي الأمي) بوصفه مكتوبا في التوراة والانجيل[15]، والحقُّ أنّ وظيفة الموصول الربط، وليس الإحالة فحسب، وقوة المعنى متحصلة ليس من ذات الموصول، قال أبو البركات الأنباري: «إن قال قائل: لِمَسُمِّي "الذي، والتي، ومن، وما، وأيّ" أسماء الصِّلات؟ قيل: لأنَّها تفتقر إلى صلات توضحها وتبينها؛ لأنَّه المتُفهم معانيها بأنفسها، ألا ترى أنك لو ذكرتها من غير صلةٍ، لمتفهم معناها، حتى تُضَمَّ إلى شيءٍ بعدها؛ كقولك: الذي أبوه منطلق، أو الذي انطلق أبوه، وكذلك التي أخوها ذاهب، والتي ذهب أخوها، وكذلك سائرها»[16].

وأشار الباحث في نهاية بحثه إلى أنّ الإحالة في النصّ من العناصر التي تعمل على تماسكه، ولاسيما نصوص القرآن الكريم؛ لأنّ نظمها هو وجه من وجوه الإعجاز[17].

وفي نظرناأنّ دراسة الباحث لم تزد على ما أتى به الأقدمون من شيء، وليست الإحالة إلاّ عنصرا من عناصر الربط بين مكونات النص أو الجملة وتحليل النص القرآني في ضوء عناصر تحليل النص لا يبلغ ما بلغه الأولون في تفسير الحالات الانفرادية التي جاء بها القرآن الكريم.

ومن مظاهر تطبيق اللسانيات على نصوص القرآن الكريم نقف عند ظاهرة الاستبدال التي هي أحد عناصر لسانيات النص، وبينتها إحدى الباحثات في أثناء تطبيقها على نصوص من القرآن الكريم، كقوله تعالى: { فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى} [النازعات: 34] وقوله تعالى: {فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ} [عبس: 33]، ومما جاء في تحليلها أنه استبدل الطامّة بالصاخّة، وهو من استبدال فاعل بفاعل، ثم تعود الباحثة لتسرد ما ذكره بعض المفسرين، ولم ينبئ الاستبدال عما يكنه النص القرآني من حسن بلاغة وحنكة صنعة، وأشار الغرناطي إلى روعة ذلك بقوله: «والمراد بهما القيامة. يسأل عن وجه افتراق العبارة؟ وهل كان يحسن ورود الصاخة هنا والطامةهناك؟

وأرى أنّ الطامة والصاخة وإن أريد بهما في السورت ينشيء واحد فإنّ لفظ(الطامة) أرهب وأنبأ بأهوال القيامة؛ لأنها منقولهم: طمَّ السيل، إذا علا وغلب، وأما الصاخة، فالصيحة الشديدة منقولهم: صخب أذنيه مثل أصاخ، فاستعيرت من أسماء القيامة مجازاً؛ لأنّ الناس يصيخون لها، فلما كانت الطامة أبلغ في الإشارة إلى أهوالها خصبها أبلغ الصورتين في التخويف والإنذار، وعلى ذلكبنيتسورة النازعات، ألا ترى قوله: {يَوْمَتَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ (6) تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ}[النازعات: 6 – 7] ووصف الطامة بالكبرى، وما أتبع به بعد، وابتداء السورة وختامها، فكلها تخويف وترهيب، فناسبها أشد العبارتين موقعاً وأرهبها»[18].

ومن صور الاستبدال استبدال (المزمل) بـ(المدثّر) وهما من استبدال نعت بنعت، وفي ذلك استرسلت الباحثة في ايراد تفسير اللفظين كل على حدةٍ، من دون الاشارة إلى ما أفاده عنصر الاستبدال، إذ كان لزاما على باحث اللسانيات أن يستنطق الاستبدال وما له من أثر معنوي في النص القرآني، والذي أراه أنه ليس من استبدال بين المزّمل والمدّثر، وإنما كل واحدة بمكانها؛لأنّ الاستبدال هو إحلال صيغة أو لفظة مكان لفظة أخرى، بمعنى: أنَّنا أزحنا لفظة لتحل محلها لفظة أخرى، والحقيقة أنّ المزملَ والمدثرَ كلٌ ثابت في موقعه، وأرى من لطيف القول هنا أنّ اختيار لفظ المزّمل أعقبه آيات لها

قافية موحدةٌ، فكلها ختمت باللام {يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ* قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلاً* نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً* أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً}[المزمل 1–4]، وأمّا (المدّثر) فناسب ورودها قافية ما بعدها من الآيات {يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ* قُمْ فَأَنْذِرْ*وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ* وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ* وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ* وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ}[المدثر 1–6]، على أنّ المعنى واحد، إذْ «يراد بالمزّمل والمدّثر الكناية عن المستريح الفارغ؛ لأنّه في أوّل البعثة فكأنهقي لله: قد مضى زمن الراحة وجاءت كالمتاعب من التكاليف، وهداية الناس لقوله: فإذا فرغت فانصب وهو لا يناف يإرادة الحقيقة»[19].

ومن مظاهر الاستبدال الذي أشارت إلية الباحثة ما جاء في سورتي: (الذاريات) و(المرسلات) فاستُبدِلَ اسمٌ باسم[20]،غير أن الباحثة لم تصوّر الحس الخفي وراء الاستبدال سوى إيراد نصوص المفسرين في الاشارة إلى معنى الذاريات، والذي أراه أنّ الرياح أتت في القرآن الكريم بأسماء متنوعة فهي تبعا لأقسامهن:«أربعةمنهارحمة،وأربعةمنهاعذاب،فالرحمةمنها: الناشرات،والمبشرات،والذاريات،والمرسلات،وأماالعذاب: العاصفوالقاصفوالصرصروالعقيم»[21]، والسؤال المتبادر لم لا يكون استبدال ثلاثة أسماء باسم واحد على نحو ما ذكر من أسماء الرياح، فهل هو اختيار انتقائي.

وتزيد الباحثةتحت عنوان (استبدال قول بقول) ومنه قوله تعالى: {فَأَنْجَيْنَا هُوَ أَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ} [الأعراف: 83] وقوله تعالى: {فَأَنْجَيْنَاهُوَ أَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ} [النمل: 57]، وتشير إلى وقوع الاستبدال بين (كانت) و(قدرناها)، والناظر لتخريج الاستبدال في هاتين الآيتين يرى خلاف ذلك، فالعنوان استبدال قول بقول، ثم تحدد موضع الاستبدال بين فعلين هما: الفعل الناقص (كان) والفعل التام (قدَّرناها) المتصل بالضميرين (نا) الفاعلين،و(الهاء) ضمير المفعول به، ولم تبيِّن الأثر المعنوي لسرّ الاستبدال في الآيتين، إذ ينبغي لها أنْ تجد علّة تجمع فيها بين المنهج اللساني في الكشف عن أساليب القرآن الكريم وتراكيبه، والحصيلة المعنوية لأداة التحليل، وكان الخطيب الاسكافي قد أجادَ في بيان حُسن سبب الاختلاف بين الآيتين بقوله: «{إلا امرأته كانت من الغابرين} في سورةالأعراف، وفيسورة النمل: {إلا امرأته قدرناها من الغابرين} فالجواب عنها ما يدل عليه الجواب عن المسألة الثالثة، وهو أن هذه القصة في سورة النمل نازلة قبل القصة التي في سورة الأعراف بدليل الإضمار والإظهار، وإذا بنينا على هذا فإن قوله: {إلا امرأته قدرناها من الغابرين} أي: كتبناعليها أن تكون من الباقين في القرية الهالكين مع أهلها، فلما ذكر في الآية المنزلة أولا أحال في الثانية على الأولى في البيان، فقال: {كانت من الغابرين} أي: في تقدير الله الذي قدره لها، وأخبر فيما قبل عن حكمه عليها»[22].

وطبّق أحد الباحثين (التكرار) في سورة الكهف، وذكر أنّ من صور التكرار في سورة الكهف كلمة (إذ) التي وردت في الآيات (10، 14، 16، 21)، وأنّها ترتبط بأول حدث في السورة وهو {إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ} [الكهف: 10]،ثم بيان الأحداث والحركات فيما بعدها بقوله: {إِذْ قَامُوا فَقَالُوا} [الكهف: 14] و{وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ} [الكهف: 16]، ثم ختام القصة بقوله:{إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ} [الكهف: 21]، لتبدأ (إذ) مرحلة جديدة من الحوار، ويذكر الباحث من مظاهر التكرار في السور تكرار لفظ (لولا) التي كانت تمثل عنصر ربط على حدّ قوله[23]، وتعليقي على ذلك أنّ السورة فيها تكرارات لألفاظ كثيرة غير مقيدة بما ذكره الباحث، فمثلا تكررت لفظة (لبثوا) ثلاث مرات، وقد بدأت القصة بها لتنهي

بها أيضا، ليقول تعالى: {قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا} [الكهف: 26] ليكون عدد الفتية من علم الله تعالى فحسب، وهو العلم المطلق.

وربّما تكرار لفظ (أعلم) أربع مرات مسبوقة بقوله: (ربكم)، و(ربهم)، و(ربي)، و(قل الله) له دلالة قوية في بلاغة الخطاب القرآني،وكان على الباحث النظر فيها، وكذلك تكرار لفظ (أحدا) ثمان مرات معبرا بها عن المخلوق إلى جانب لفظة (واحد) في قوله: (وإلهكم إله واحد) التي لم ترد إلا مرة واحدة معبرا بها عن ذاته جل وعلا لما لها من مدلول في أنّ المتفرد في كل شيء هو الواحد.

وأمّا ما جاء في التكرار من حسن التخريج؛ففي قوله تعالى: (والسماء رفعها ووضع الميزان ..) قال الباحث: «إن القارئ لهذه الآيات الثلاث يلفت انتباهه تكرار لفظة الميزان في آخر كلآية وكان حقها الإضمار في الآية الثانية والثالثة،[...] والذي يعتمد هو أن يجعل لكل واحد معنى غير معنى الآخر، ذلك أنّ الميزان من قوله: (والسماء رفعها ووضع الميزان) يعني: وضع البنية المعتدلة في كل ما أبدع الله وصور؛ فالشمس، والقمر بحساب معلوم، وتقدير سوي، والسماء عن الأرض مرفوعة، والإنسان مصور أحسن تصوير، ومعنى الميزان في قوله: (ألا تطغوا في الميزان)؛ الحكم بالعدل كراهية الاعتداء، ومجاوزة الحد في القصاص، والإرث بما ثبت به حكم الطبع قبل حكم الشرع، والمعنى: أنّ الله عدَّلَ خلقة الخلق، ولا سيما آدم عليه السلام ليتوخى الإنسان المعادلة في الأحكام فالعين بالعين، والسن بالسن، والأذن بالأذن، والنفس بالنفس، أما الميزان من قوله تعالى: (وأقيموا الوزن بالقسط ولاتخسرو االميزان)؛ هو آلة التعديل، وهي التي يقع بها الأخذ والعطاء فتبين بها مقادير الحقوق ليكتفي كل ذي حق على قدر ما يحب له فلا يأخذ أكثر من ماله، ولا يعطي أقل مما يجب عليه»[24].

وأرى أنّ الباحث قد وفق في الاهتداء إلى تكرار اللفظ نفسه في الآيات المتتابعة، وأنّ لكل كلمة معنى على الرغم من تشابه اللفظة، وهو تخريج قريب من الواقع؛ لأنّ النص القرآني لا يخلد إلى التكرار إلاّ لغرض معنوي وبلاغي، يأتي فهمه بالتأني وإنعام النظر.

و من صور التحليل (الحذف)؛ فهو أحد عناصر التماسك النصي،ومن أمثلته قول أحدهم: « حذف المعطوف، ومنه قوله تعالى: **{وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ} [ص: 37]**، فقد حذف المعطوف (كل)، من قوله (كل بناء وغواص)، والتقدير: كل بناء و(كل) غواص، وقد دل عليه (كل) السابقة، فالمرجعية داخلية سابقة، والتماسك حاصل بين مفردات»[25]، وقوله في حذف اسم (أنّ): «حذف اسم أن المخففة؛ ومنه قوله تعالى: **{فَلَمَّا خَرَّتَ بَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ} [سبأ: 14]**،فـ(أن)المخففة من الثقيلة يجب حذف اسمها(المحيل)، والتقدير: أنّهم (رؤساؤهم وحكامهم من الجن) لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين، ودل عليه (الجن)؛ فالمرجعية داخلية سابقة، وقد حصل التماسك بين مفردات الآية»، وهذا أيضا مثال للحذف وهو حذف خبر لا النافية للجنس«ومنه قوله تعالى: (الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم)، قد تم حذف خبر لا النافية للجنس فيقوله لا إله إلا هو، والتقدير: (لا إله موجود إلا هو)، واسمها (إله) والضميرالمنفصل (هو) بدل من الضمير المستكنفي خبر لا (موجود)»، ومما سبق لم ينظر الباحث في عقد علاقة بين الحذف والمعنى الوظيفي له.

ومن تطبيق الدراسات اللسانية الحديثة (التداولية) وما يندرج تحت هذا المصطلح من عناصر تحليل الكلام وتوصيفه، ولهذا الضرب من الدراسة تطبيقاتها في القرآن الكريم، منها على سبيل التمثيل: (الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية)،والحِجاجهو ترجمة للمصطلح (Argumentation) واختير من بين ألفاظ أخرى تقترب منه كـ(الاستدلال، والبرهان، والجدل) وسبب اختيار هذه الترجمة هو أن الحِجاج يدلُّ بحكم صيغته الصرفية على المشاركة في تقديم الحجج وإلقاء الحجة بعد الحجة[26]، وفي التفريق بين مدلولات الألفاظ الثلاثة، فالحِجاج، هو: أسلوب محاورة مشحون بالاستدلالات والبراهين وهي جزءٌ منه.

وينتقي الباحث في دراسته التطبيقية للحِجاج في القرآن الكريم آيات تتجسّد فيها الحجة، محاولاً جهدَه بيان الأسلوب الحجاجي من تلك الآيات مستعيناً على ذلك بما أسعفه من أقوال العلماء في تفسيرها، ومن ذلك مثلاً: أسلوب التمثيل في القرآن الكريم وهو بابٌ واسعٌ، يقول في توضيحه «إنّ التمثيل على عكس التشبيه مثلاً، لا يقيم تشابها بين عنصرين اثنين بل بين بنيتين اثنتين فليس التمثيل إذن بقائم على علاقة تشابه، وإنما هو قائم على تشابه في العلاقة أي أنّ التشابه فيه بين علاقتين»[27]، وفيه نظر؛ لأنّ التشبيه جزء من علاقة في التمثيل وليس على عكس التمثيل بمعنى: أنّ التمثيل مجموعة من العلاقات التي يكون التشبيه واحدة منها، فلفظة (عكس) لا تصح بأي حال من الأحوال.

ويضرب لذلك مجموعة من الأمثلة، منها قوله تعالى: {مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوها كَمَثَلِ الْحِمارِ يَحْمِلُ أَسْفاراً بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} [سورة الجمعة 5]، يوضّح الباحث من هذه الآية حقيقة التمثيل وعلاقاته مستدلاً على ذلك بما ذكره الزمخشري[28]، غير أنّه لم يبيّن فكرة الحِجاج، وأثرها في تصوير المعنى القرآني بوصفها سبيلاً في دحض افتراء الكفار والمشركين، فضلاً عن أنَّ الباحث تكلّف في التأويل،فتلاطمت عباراته التي اكتنفها الغموض في كثير من مواضع البحث، وابتعاده عن الغاية المرجوة.

إنّ استعمال (الحِجاج) على أنّه ترجمة للمصطلح الأجنبي الذي ذكره الباحث، وتطبيق بعض صوره على آياتٍ من القرآن الكريملا يعود بشيء على جمالية النصّ القرآني وعلو خطابه على نحو ما استعمله الباحث؛ لأنّ القرآن الكريم فيه صور من الحِجاج التي تبرهن على ائتلاف وحدة نصوصالقرآن الكريم، وايراد الحجة بعد الحجة، ومن ذلك ما جاء في سورة (ص) من تكذيب المشركين للرسول (ﷺ)، «وجاءت لإبطال حججهم وبيانها، فضربت الأمثال العظيمة لرد الحجج الباطنة في نفوسهم والظاهرة على ألسنتهم، وأهمها العجب من كون الرسول(ﷺ) منهم كما قال تعالى {بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ} [ق: 2] {وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ} [ص: 4] {أَؤُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّمِنْذِكْرِيبَلْلَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ} [ص: 8]، وجاء الرد عليها ظاهر او متضمناً للإشارة على رد شبهة تعدد الآلهة من وجهين، والإشارة على وجه واحد لرد شبهة السحر، ومهد للرد على حجة الوراثة في دين الآباء، والدعوة للصبر عليه، وكل رد مهد لما بعده بأروع ما يكون من بلاغة وتسلسل في النظم»[29].

الخاتمة

- إنّ اللسانيات النصية منهج واسع له أدواته التي يستعين بها الدارس في تفكيك النص وتحليله تحليلاً وصفياً قد يوجَّهُ النص بها إلى المعنى المراد أو غير ذلك.
- إنّ هذا الدرس له ضوابطه وأصوله التي لا يمكن أن ينطبق كثير منها على نصوص اللغة العربية ولاسيما القرآن الكريم؛ لاختلاف الأصول التي تحدد المستوى البلاغي للنص وإبراز جوانب الجودة.
- طريقة التفسير وإيجاد المعنى لنصوص القرآن الكريم بوساطة العناصر اللسانية لم يكن بمنأى عن الاستعانة بأقوال العلماء القدماء.
- ضعف توظيف عناصر تحليل الخطاب بما يتلاءم ونصّ القرآن الكريم، في كثير من الدراسات.
- إنّ طريقة تحليل النصّ قائمة على العناصر اللسانية إلاّ أن الحصيلة المعنوية لهذا التحليل مردها إلى ما جاء به البلاغيون والمفسرون وغيرهم.

Abstract

Texts of the Quran in light of the application of textual linguistics Grammatical Critical Study

By Mohammed Abdul – Allah Abbas Ali

The modern linguistic approach of the Arabs specialties has been studying different methods according to the unstable terminology aspects ,So the Arab linguistics in learning Arabic language faced many problems pertaining with receiving , representation , composition , and preaching for the people of the east thoroughly .

The Moroccans have overstepped in linguistic as a result of historical communication with the western peoples in different periodical era ,So that they have been taken theoretical linguistics, especially synchronic linguistics in profoundly , but the peoples of the eastern regions had previously studied with receding of traditional approach until coming of Quranics method according to the texts verses of the holy Quran .

This research represents a critical view of how to apply the linguistic lesson in its standards, the method of employing elements of linguistic linguistics in the analysis of some texts of the Holy Quran, and the answer to the question: Is this research paid off in a different way than the oldest? And the validity of the linguistic approach of some researchers in the analysis of the text of the Koran, I have only mentioned a number of examples in the inferred of the multitude.

الهوامش

(1) قاموس اللسانيات، د.عبد السلام المسدي: 73، الدار العربي للكتاب، مصر– القاهرة، د.ت، د.ط.

(2)الوجيز في شرح قراءات القراءة الثمانية أئمة الأمصار الخمسة، أبو علي الحسن بن علي بن إبراهيم بن يزداد الأهْوَازي (ت 446هـ)، ح: دريد حسن أحمد، دار الغرب الإسلامي – بيروت، ط: الأولى، 2002: 5

(3) ينظر إعجاز القرآن للباقلاني: 35،أبوبكر الباقلاني محمد بن الطيب (ت403هـ)، ت: السيد أحمد صقر، دار المعارف – مصر، ط: الخامسة، 1997م.

(4) ينظر مبادئ في اللسانيات، د. أحمد محمد قدور : 32، دار الفكر دمشق، ط: الثالثة، 2008م.

(5) مبادئ في اللسانيات: 15

(6) ينظر علم اللغة العام،فردينان دي سوسير: 37،27، ترجمة: د. يوئيل عزيز، آفاق عربية، بغداد، 1985م.

(7) ينظر علم اللغة العام: 100، واللغة بين المعيارية والوصفية،د. تمام حسان،: 63–64، عالم الكتب، القاهرة، ط: الرابعة، 200م.

(8) ينظر اللسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب لمحمد خطابي :5–6، المركز الثقافي العربي ، بيروت، ط:الأولى،1991م، والنص والخطاب والإجراء: 103، لروبرت دي بوجراند ، ترجمة د. تمام حسان ،عالم الكتب، القاهرة،ط: الأولى، 1998م، ومدخل إلى علم لغة النص، إلهام أبو غزالة وعلي خليل حمد: 11، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط: الثانية، 1999م.

(9)مهارات الاتصال في اللغة العربية: د.سمر روحي، د. محمد جهاد: 13– 14، دار الكتاب الجامعي، الامارات– العين، ط: الأولى، 2004م.

(10) ينظر إبلاغية النص القرآني من منظور اللسانيات النصية: 106، أطروحة دكتوراه للطالب عبد الكريم حاقة، جامعة محمد خيضر، الجزائر، 2016م.

(11) ينظر المصدر نفسه: 108

(12) ينظر الاحالة وأثرها في القرآن الكريم: 90، بحث منشور في مجلة الأثر تصدر عن كلية الآداب واللغات الجزائر، عدد خاص لسنة 2012.

(13) تفسير مقاتل بن سليمان: 5/ 147،أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشيرالأزدي البلخى، (ت150هـ)، ت: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث، بيروت، ط: الأولى – 1423 هـ.

(14) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج: 22/ 16، د.وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر، دمشق، ط : الثانية، 1418 هـ.

(15) ينظر الاحالة وأثرها في القرآن الكريم: 93

(16) أسرار العربية: 263، عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، أبو البركات، كمال الدين الأنباري (ت 577هـ)، دار الأرقم بن أبي الأرقم، ط: الأولى، 1999م.

(17) ينظر الاحالة وأثرها في القرآن الكريم: 93

(18) ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آيالت نزيل: 2/ 502، أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، أبو جعفر (ت708هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، د.ط، د.ت.

(19) حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي: 8/ 270، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي (ت1069هـ)، دار صادر، بيروت، د.ط، د.ت.

(20) ينظر الاستبدال في القرآن الكريم: 21، رسالة ماجستير، سميرة قاسمي، جامعة قاصدي مرباح، كلية الآداب واللغات، الجزائر، 2015م.

(21) تفسير بحرالعلوم: 3/ 275، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي(ت373هـ)، ت: محمد علي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى، 1993م.

(22) درة التنزيل وغرة التأويل: 2/ 636، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الأصبهاني المعروف بالخطيب الإسكافي (ت420هـ)، ت: د. محمد مصطفى آيدين، جامعة أم القرى، ط: الأولى، 2001م.

(23)ينظر التماسك النصي في سورة الكهف، أحمد جاسم ثاني، بحث منشور مجلة دواة، كلية أصول الدين – ميسان.

(24)دلالة التكرار في سورة الرحمن، زبيدة الحاج لخضر باتنة– الجزائر– بحث منشور في مجلة الأثر العدد 14 لسنة 2014م.

(25)التماسك النصي في قصة داود وسليمان في القرآن الكريم دراسة نحوية تحليلية، ماجدة ماجد محمد أبو عودة، جامعة الاقصى–غزّة، 2016م.

(26) ينظر الحِجاج في القرآن الكريم وأهم خصائصه الأسلوبية: 9، عبد الله صولة، دار الفارابي، بيروت، ط: الأولى، 2001م.

(27) الحِجاج في القرآن الكريم وأهم خصائصه الأسلوبية: 549

(28) ينظر الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: 1/ 80،أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت 538هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، ط: الثالثة، 1407 هـ.

(29) القول المعتبر في بيان الإعجاز للحروف المقطعة من فواتح السور: 111، إياس محمد حرب آل خطاب، مطابع برنتك للطباعة والتغليف، الخرطوم، ط: الأولى، 2011م.